

(تصوير
لوراسالفيينيبي -
اللجنة
الدولية للصليب
الاحمر)



في الطريق إلى جبك محسن من التبانة

الحياة تعود إلى طبيعتها في باب التبانة



العلوية»، ومن بعدها قام علي عيد، والذي تحول لاحقاً إلى الشخصية الأبرز في جبل محسن، بإنشاء فريق رياضي سرعان ما تحول في بداية السبعينيات إلى «حركة الشباب العلوي»، ويقال إنه تلقى دعماً من رئيس الجمهورية وقتها سليمان فرنجية ومن الامام موسى الصدر الذي كان له نشاط قوي في المجتمع العلوي، إذ عرض وقتها ضم العلويين إلى الطائفة الشيعية وإعطاهم من حصتها في التمثيل. عرض لم يلق قبولا حينها. مع حركة الشباب العلوي علا صوت يطالب بإعطاء العلويين حقهم، إذ كان ممنوعاً على العلويين تولي وظيفة حكومية أو الانخراط في المؤسسة العسكرية ما اضطر بعضهم إلى تغيير مذهبهم، وبعضهم كان يحمل عبارة سني - علوي على الهوية. بقيت حركة الشباب العلوي مطلبية إلى أن اندلعت الحرب وفرضت قوانين أخرى على الحراك في البلد، وتحولت الحركة إلى تنظيم وخفت صوت المطالب ليعلو صوت الحرب. عام 1980 أسس علي عيد «الحزب العربي الديمقراطي». لم يشارك العلويون فعلياً في اللعبة السياسية إلا بعد إقرار اتفاق الطائف بحق «الطائفة» في مقعدين نيابيين، شغل علي عيد أحدهما بالتعيين. مذاك بدأ العلويون دخول المؤسسة العسكرية والمجالس البلدية، وعام 1994 تم تجنيس 12 ألف علوي. في رأي كثيرين كانت تلك «نقطة تحول» أخرى، مرحلة لفصل جديد من التاريخ في الجبل. حتى اليوم، يتبع العلويون في أحوالهم الشخصية المحكمة الجعفرية، وهو، على عكس الشائع، أمر يرفضونه. يريدون الانفصال عن الطائفة الشيعية لتكون لهم فرادتهم «على الطريقة اللبنانية»، كان تكون لهم محاكم خاصة تنظم شؤون طائفتهم بدورهم.

غير أن ذلك كله شيء. وكما يعرف الجميع. العلاقة بين الجبل والتبانة شيء. بينهما شارع يعرف باسم شارع سوريا. يقرع الاسم جرساً ما في الأذنين، ولكنه مجرد خط يفصل بين منطقتين تتصارعان منذ السبعينيات وحتى اليوم. شارع سوريا أو شارع معارك سوريا في لبنان. والصراع بين الجبل والتبانة قديم ومع بداية الحرب في لبنان، وقد شارك أهالي الجبل في الصراع السوري الفلسطيني بين الاسد وعرفات، وتحالف أهالي الجبل بقيادة علي عيد مع الجيش السوري في الحرب مع أهل التبانة المتحالفين مع منظمة التحرير الفلسطينية وجيش لبنان العربي والمقاومة الشعبية بقيادة علي عكاوي. هذا تاريخ لم ينته بعد هناك. فيما مضى، أسس العلويون جناحاً عسكرياً للحزب العربي الديمقراطي أطلقوا عليه اسم «الفرسان الحمر»، واستمر القتال عنيفاً، ونشأت التحالفات بتسمياتها وأحزابها المتعددة، وبقي أهالي الجبل يساندون النظام القوي السوري في حروبها اللبنانية، والتي كانت أقسامها مجزرة التبانة التي وقعت عام 1986. مجزرة حاضرة في ذهن أهالي طرابلس الذين يتهمون مسلحين علويين من الجبل بمشاركة القوات السورية بتصفية 700 مواطن من أهل التبانة، رغم أن أهل الجبل ينفون أي مشاركة بها، غير أن الذكراة انتقائية في الجهتين، على غرار جميع الذكراة التي ارتبطت بالقتال الأهلي اللبناني. وبعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري، استقطبت ذكراة الحرب، ولم تنم بعد. بين التبانة والجبل، الحرب مستمرة بجميع وجوهها البغيضة: خطوط التماس، القناصون، والطائفة، والهويات القاتلة.



اطفال يلهون في مطبخهم الخاص

ترك رفعت عيد الجبل من دون «قائد ميداني»، ليبقى القائد الأكبر هو الرئيس السوري بشار الأسد. وولاء آل عيد لآل الاسد مقدس، يشبه ولاء أهالي الجبل الذين يرون في النظام السوري القلعة الحصينة في محيط مختلف طائفيًا، يخافون من إمارته الإسلامية. ولاء يترجمه أهالي الجبل بالصور والشعارات المغروسة في كل شارع، صور لمار الأسد بحالاته كافة، وصور لمار عبدي وأبيه الراحل، كذلك صور لعلي عيد ورفعت عيد وهو يصافح بشار الأسد، صور تنضح بالولاء وشعارات مبايعة لـ «قائد الأمة»! عملياً، يقدر عدد العلويين في جبل محسن بأربعين ألفاً ويشكلون حوالي ستين في المئة من علوي لبنان الذين اعترفت بهم الدولة اللبنانية كطائفة إسلامية عام 1936. في بداية الخمسينيات أنشئت «الرابطة الخيرية الإسلامية